تضافر الأساسين الاجتماعي والفلسفي في تأليف وإخراج الكتاب المدرسي المنشود

The combination of social and philosophical foundations in writing and directing the desired textbook

د. عمار صويلة[1] *

[1] المجمع الجزائري للغة العربية (الجزائر)، ammarsouila2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022-06-21 تاريخ القبول: 2022-07-08 تاريخ النشر:2022-12-27

ملخص البحث

يرتكز التعليم في قاعات الدرس ارتكازا كبيرا و بدرجة عالية على الكتاب المدرسي ففي السياقات والمواقف التعليمية التي يفتقد فيها المعلم ما يؤهله للتدريس بكفاءة عالية، يغدو الكتاب المدرسي دليلا وسندا ودعامة لا غنى له عنها في عملية التدريس، أما بالنسبة للمتعلم فإن الكتاب المدرسي يؤدي دوره بوصفه أساسا لعملية التعلم بطريقة منهجية، وبوصفه من مرتكزات التقوية والدعم والمراجعة، والاستفاضة في التحصيل. وعلى ذلك فمن وجهة نظر المحتوى التعليمي والطرائق التعليمية فالكتاب المدرسي له عظيم الأهمية. والحاجة إليه كبيرة ليسد حاجات تعليمية محددة بظروف بذاتها ويجب أن يكون هذا الكتاب مبنيا ومرتكزا على أسس ومعايير مضبوطة . ويلعب الأساسان والمعياران الاجتماعي الثقافي والفلسفي دورا كبيرا وخطيرا في هذه العملية الهامة فكيف يتجسد ويتجلى ذلك ؟

كلمات مفتاحية: الكتاب المدرسي، وظائف الكتاب، شروط الكتاب الجيد، الأساس الاجتماعي، الفلسفي.

Abstract:

Teaching in the classroom is highly and highly dependent on the textbook. In educational contexts and situations in which the teacher lacks what qualifies him to teach with high efficiency, the textbook becomes an indispensable guide, bond, and pillar in the teaching process. As for the learner, the textbook plays its role as a The basis for the learning process in a systematic way, And as one of the pillars of strengthening, support, review, and extensive collection. Accordingly, from the point of view of educational content and educational methods, the textbook is of great importance. There is a great need for it to fulfill specific

[1] *المؤلف المرسل: د. عمار صويلة

educational needs with specific circumstances, and this book must be based on precise foundations and standards. The two foundations and the socio-cultural and philosophical criteria play a large and dangerous role in this important process. How is that embodied and manifested?

Keywords: Textbooks, functions of the book, conditions of a good book, social and philosophical basis.

1.مقدمة

إن المتتبع لأصول وسائل التعليم الرئيسة في المجتمع العالمي عامة و العربي خاصة، هذه الأصول المتمثلة أساسا في الكتاب والمعلم والمدرسة، فإنه واجد لا محالة الكتاب سباقا لهم جميعا في الظهور والبقاء، فقد وجد الكتاب واختلفت صيغه ومحتوياته ومواضيعه، وتناوله المتلقون بالقراءة، والمتعلمون بالتعلم منه، والباحثون بالبحث ، وهذا قبل أن توجد المدرسة بوصفها مؤسسة مختصة وحاملة على عاتقها مسؤوليتي التربية والتعليم، وهذا قبل أن يتوفر المدرس المؤهل لهذه الرسالة العظيمة.

ويعتبر الكتاب المدرسي من أعظم الوسائل التعليمية، "فهو لازم للمدرس والتلميذ بل إن المدرس العادي يشعر بحيرة إذ ما طلب إليه تدريس مقرر لم يؤلف فيه كتاب مدرسي، كما أن الكتاب المدرسي يعتبر روح المنهج وترجمة له إذ يتضح فيه أهداف المنهج وغاياته، ولهذا يولي تأليف الكتاب المدرسي وتحسينه اهتماما كبيرا يتفق وما له من قيمة تربوية"[1]، و كان الكتاب ولا يزال يؤدي دورا مهما وخطيرا في التعلم واكتساب العديد من المهارات الفكرية ،فإذا أمعنا النظر في الجانب الفكري من العملية التربوية التعليمية، فإننا نجد أن الدور الكبير والخطير فيها يأتي للمتعلم من سببين رئيسين هما المعلم والكتاب ، حيث أن الجوانب الأخرى للتربية، من جسمية وخلقية واجتماعية ونفسية، يظهر جليا أثر الكتاب في تنميتها وتطويرها، كما أن القيم والمثل العليا تؤخذ من المعلم والكتاب، و تعود الحاجات التربوية التعليمية لسد الحاجات التعليمية المرجو والمطلوب تحقيقها إلى وضع وإخراج كتاب مدرسي جيد، ويتأسس ذلك على سياقات محددة ب" بظروف

بعينها مثل: موضوع المادة المدروسة، أو مستوى المرحلة التعليمية، أو ظروف الدارسين من حيث الصف المدرسي والعمر، والجنس، وقدراتهم اللغوية، وحصيلتهم التعليمية السابقة وربما ظروفهم البيئية..الخ" [2]

والكتاب أنواع، منه الكتاب المدرسي، و الكتاب المكمل و الكتاب المرجع، ويبقى الكتاب المدرسي الكتاب الرئيس المعول عليه بين يدي المتعلم والمعلم. وإذا سلمنا سلفا أن المطالعة مقصورة على كتب المراجع والكتب الإضافية على عدد من المتعلمين الممتازين، فإن الكتاب المدرسي هو الكتاب العام والجامع والقاسم المشترك بين المتعلمين. ومنه فغالب التأثير الفكري يعود إلى الكتاب المدرسي.

وقد اقتضى النظر التربوي المعاصر، اعتبار المتعلم في إطاره الثقافي الاجتماعي المتحول مركزا للعملية التعليمية، وما يتصل بها من وسائل تعليمية، كان من أبرزها الكتاب المدرسي، فلم تعد الخبرة التعليمية مجرد التدريس من الكتاب على أهميته وإنما أصبحت مواقف الحياة هي مجال الخبرة التربوية، ولم يعد المعلم هو العامل الوحيد في هذه الخبرة، بل أضحت إيجابية المتعلم بتوجيه المعلم وعمله وإرشاده. ولم تعد غايات التعليم مجرد توجيه المتعلم لما يوجد في الكتب المدرسية من محتوى، بل أضحت عملية متممة ومكملة للطفل للنمو والتطور في كامل مناحي ومستويات شخصيته، وأصبحت الكتب وسائل وأدوات لتحقيق هذه الغاية الاجتماعية الثقافية. وليس الغرض من هذا التقليل من قيمة الكتاب ودوره في العملية التعليمية، بل أنه ضمن الاستفادة من الكتاب المدرسي وجعل له وظيفة فعلية في تربية وتحضير المتعلم للتكيف الحياتي. فالتربية الحديثة إذن من أهدافها إعادة الاعتبار لوظيفة الكتاب المدرسي وتأسيسه وبناؤه على أسس جديدة وظيفية تحقق الغاية منه لتتوافق مع النظريات التربوية المعاصرة. و كان أكبر ما حرصت عليه أن تحدد هذه الأسس وتدعو إلى التزامها عند تأليف الكتاب واستعماله.

والحقيقة أن الاختلاف بين الكتاب المدرسي وفقا للمفهوم التربوي المعاصر والكتاب المدرسي وفق المفهوم التربوي الكلاسيكي ليس اختلافا في مكانته وأهميته ووظيفته فحسب، بل اختلاف كذلك في الأسس التي يقوم عليها، وفي إدراك قيمة هذه الأسس ومدى الوعي و التبصر بها أثناء التأليف والاستخدام.

فالأساس الرئيس الذي كان تعطى له الأهمية القصوى عند إخراج وتأليف الكتب المدرسية قديما هو المحتوى بدون النظر للاعتبارات الأخرى ، ونتج عن اعتماد هذا الأساس الوحيد أن أضحت الكتب المدرسية متميزة بالرتابة والنمطية التي قضت على الفروق والتمايز بين كتاب مدرسي و كتاب مدرسي آخر في المادة نفسها والموضوع ذاته، ولكنه اليوم، فقد أضحى من اللازم والضروري والحتمي في ضوء التغيرات الاقتصادية العالمية والتطورات الاجتماعية المحلية والإقليمية وغيرها ، وظهور النظريات العلمية لاسيما النظريات اللسانية الحديثة، النظر إلى أسس واعتبارات أخرى لازمة وحتمية واجب أخذها بالحسبان ،وكان هذا التوجه الجديد في بناء الكتب المدرسية على هذه الأسس تماشيا والنظرة العلمية الجديدة إلى المناهج والمعايير التي تقوم عليها، حيث أن علماء التربية والتعليم حاليا كلما فكروا في تحسين وتطوير المنهج، مادة وأسلوبا، لجؤوا إلى أن يضعوا في يد المعلمين والمتعلمين كتبا مدرسية أحسن إعدادا وتحضيرا وانتقاء وفق المعايير والأسس الجديدة، حيث أن الكتاب المدرسي المميز والناجح والوجيه يدل على مراتب تطور المنهج ووسيلة لتطويره وتحيينه. ومنه أصبح من الواجب والحتمي على مؤلفي الكتب و المشرفين عليها الوعي والانتباه لهذه الأسس والارتكاز عليها والاستئناس بها ، ومن دونها يفقد الكتاب المدرسي الغايات التي رسمت للعملية التعليمية بصورة كلية، وهذه الأسس يمكن تحديدها فيما يلي:

- الأساس الاجتماعي الثقافي.
- الأساس التربوي الفلسفي.

2- مهام وظائف الكتاب المدرسي :

ويقوم الكتاب المدرسي بعدد من الوظائف والمهام التي تزيد طبيعته وضوحا وجلاء وتثبت أهميته كعامل من عوامل التربية والتعليم ، إذ يوفر الكتاب المدرسي تنظيما للمادة المدروسة، حيث يستطيع المدرس الاستعانة به في إعداد دروسه، كما يقدم الكتاب المدرسي للمعلم والمتعلم المعلومات والأفكار الرئيسة المتعلقة بالمقرر.

ويتضمن ويحتوي الكتاب المدرسي في العموم صورا ، ورسوما بيانية، وخرائط وكل ما يتطلب من وسائل التوضيح والتفهيم، كما يحتوي على أسئلة أو تمارين تعين المتعلمين على فهم المادة المدروسة والتمرن عليها وتحقيق استيعابها.، كما أنه يمكن أن يستخدم الكتاب المدرسي في مساعدة التلاميذ على القراءة الفاحصة الواعية.

والكتاب المدرسي لا يحقق وظائفه بصورة آلية وإنما يشترط توافر عاملين:

جودة الكتاب المدرسي من حيث مادته وطريقة عرضه وأسلوبه ومعينات التدريس التي يحتوي عليها وطبعه و إخراجه.

- حسن استخدام الكتاب المدرسي ومدى ما يقدمه المدرس لتلاميذه من مساعدة وإرشاد للإقبال على قراءته والاستفادة منه، "ويرتبط بهذا العامل فهم المدرس لطبيعة الكتاب المدرسي وحدوده" [3]

3- شروط الكتاب المدرسي الجيد و تقويمه:

إن التعرف على عوامل جودة الكتاب شرط أساسي لتقويم الكتاب، وأن معايير الحكم على الكتاب المدرسي إما مشتقة من كثير عدة عوامل متشابكة ومتضافرة ، إذ أنه يجب أن تتوفر في الكتاب الجيد الشروط التالية:

-وضوح المعلومات والأفكار الواردة في الكتاب المدرسي.، ونوع منهج المدرسة التي يعد لها الكتاب والفلسفة التعليمية التي توجهه.

-صحة ودقة المعلومات الواردة فيه.، وتوافر المراجع والمصادر التي يستمد منها الكتاب مادته.

أن يكون الكتاب خاليا من الإساءة إلى المجتمعات البشرية الأخرى.

-ضرورة تنظيم وترتيب المحتويات العلمية فيه ومراعاة الطرح المنطقي للمعلومات.

-وسائل الشرح والإبانة يجب أن تكون كافية و واضحة ودقيقة.

-أن تكون لغة الكتاب وأسلوب عرضه والمصطلحات الموجودة به مناسبة للمتعلمين.

-أن يكون حجمه وشكله ولونه مناسبا ومشوقا .

4- طرائق استعمال الكتاب المدرسي:

في حقيقة الأمر ليست هناك طريقة واحدة محددة للاستعمال، وإنما توجد عدة طرائق(تتعين في ضوء الغاية من استخدامه، وفي ضوء طبيعة الكتاب المستعمل، وأيضا تتعدد طرائق الاستخدام وفقا لاختلاف مراحل التعليم ومن هذه الطرائق:

استخدام الكتاب المدرسي قبل الدرس بمعنى أن يحدد المدرس صفحات الكتاب التي تتناول موضوع الدرس الآتي، ويقوم المتعلمون بقراءتها ومحاولة استيعابها بمساعدة بعض الأسئلة أو العناصر أو التوجيهات من قبل المعلم.

يستعمل الكتاب المدرسي بعد الدرس بغرض المراجعة والتلخيص والتجريب.

يمكن أن يضع المعلم تلاميذه أمام وضعية مشكلة يستعينون على حلهت بالكتاب المدرسي. ومهما يكن من اختلاف وتعدد لطرائف استخدام الكتاب المدرسي سواء قبل الدرس أو بعده فلابد من خطوات ومراحل سابقة يقوم بها المعلم وهي:

– تعريف المتعلمين بالكتاب المدرسي:

–في بداية العام الدراسي "يقوم المعلم بالشراكة مع متعلميه ومعهم كتبهم بالتعرف على عناوين الكتب المقررة ومؤلفيها، وقائمة المحتويات الموجودة داخلها، ووسائل الشرخ والتفهيم التي به، والتمرينات والتطبيقات الموجودة في كل فصل وباب. والغاية من ذلك تحسين وتنمية نظرة المتعلم إلى الكتاب المدرسي.

– طريقة قراءة الكتاب قراءة تأملية دقيقة أي تنمية كفاءات المتعلمين في قراءة الكتاب المدرسي، وذلك بأن يخصص المعلم فترة زمنية لتدريب المتعلمين على طريقة القراءة فيبت الكتاب المقرر، وتنمية مهاراتهم على اكتساب المعلومات وترتيب الأفكار وتلخيص الفقرات"[4] .

4–1–الأساس الاجتماعي الثقافي:

تتحدد النظرة إلى الكتاب المدرسي ودوره، بربطه بطبيعة ثقافة المجتمع ونزعاته وميوله وغاياته. وهي تتأثر بمفهوم هذه الثقافة كما يظهر لدى المؤلف والمقرر والمعلم..

فالنظرة المعاصرة إلى الثقافة على أنها كل متكامل، تتداخل عناصرها وتتشابك، ويؤثر يعضها في بعض، وتتغير بظروف الزمان والمكان ،فتنطوي على صورة جديدة للتعليم. فالتعليم وفق هذه الصورة يكون عنصرا من عناصر هذه الثقافة، يرتبط بغيره من العناصر، ويتأثر بها ويؤثر فيها، ويتجاوب مع ما تتعرض له الثقافة من عوامل تغير وتطور ويتلاقى في هذا التعليم العلم مع العمل، والنظري مع التطبيقي، والقيم والمعتقدات والأفكار مع السلوك، والتعليم في هذا الحال يكون للناس جميعا، حيث أنهم جملة هذه الثقافة بما فيها من مؤسسات وأنظمة ومشكلات، ويصبح الهدف فيه تنمية قدرات كل فرد غلى أقصى حد مكن ليكون وحدة إيجابية في نمو هذه الثقافة. ومن ثم ينظر غلى التعليم كله على أنه عامل من عوامل التغيير والتجديد والتوجيه، لا أن يكون خاضعا لما استقر في الثقافة من تقاليد وأساليب وأفكار ومعارف. ولتحقيق هذه الوظيفة يستخدم التعليم أجهزته

وأدواته ومنها الكتب المدرسية ومادتها للنهوض بالمجتمع، فيتحول الكتاب المدرسي إلى أداة وظيفية يفيد منها الأفراد في تطوير أنفسهم وثقافتهم.

وفي ضوء هذا النظر والموقف الذي أضحى من بديهيات علوم التربية المعاصرة لابد أن تراعى الاعتبارات الآتية عند وضع أي برنامج تعليمي وتأليف كتاب مدرسي:

ماهية ونوع ثقافة المجتمع، من حيث أبعادها ومكوناتها، وعوامل التغير، واتجاهات هذا التغير.

-نوع المواطنة التي يترجاها تحقيق هذه الاتجاهات الثقافية المستجدة..

-الطرائق والأساليب والأدوات، التي تستخدمها المدرسة، استجابة لمطالب الثقافة

فإننا نعيش في عصر من أهم مميزاته التطور السريع، نتيجة تقدم العلم بخطوات لم يعهدها ويعرفها العالم من قبل، وهذه الاكتشافات والمؤثرات الجديدة التي أدت إلى اتساع مجالات المعرفة في مجتمعنا ومن حوله، وإلى زيادة التراث الإنساني، وسرعة نموه، تتطلب منا الوعي بها وبما تتضمنه من مؤثرات على حاضرنا ومستقبلنا. ووسيلتنا وضماننا في كل هذا هو التعليم، بأدواته ومنها الكتب التي هي وسيلة التعبير عن عمق الثقافة وعرضها، بالرمز والكلمة لما فيها من أثر وفاعلية وقوة في التعبير عنها في بساطة وسهولة.

وأهم الاعتبارات التي ينبغي مراعاتها في وضع الكتب المدرسية والحكم عليها في ضوء هذا الأساس الثقافي :

- أن يتوفر للكتاب المدرسي سمة اجتماعية محددة، وأن يحقق مخرجات التوجهات الاجتماعية و الوطنية المنشودة، وأن يكون منحاه تلمس صفات المواطنة والمدنية والتعاون، وهنا تكمن خلفية التربية، ومرجعية الكتاب المدرسي الذي يفي بأهدافها وأغراضها. فسرد المعلومات والوقائع والأحداث مجردة معزولة عن سياقاتها ووظائفها،دون إسقاط أو تفسير وتوجيه اجتماعي، على أساس ما يسميه البعض من المؤلفين بالموضوعية والحيادية العلمية لا يخدم خلفية التربية التي

تعني اجتماعيتها، و بناءها على الأيديولوجية المتوافقة و مصالح المجتمع التي أوجدت من أجله التربية. والموضوعية لا تعني بالتالي نفي وإلغاء تفسير الحقيقة، وإنما نعني بها تحريها واحترام صحتها مع سوقها وتوظيفها في سياق المحيط الاجتماعي والعلاقات والأهداف والتوجهات العامة للمجتمع. و من هذا فإن الكتاب المدرسي يجب أن يعرض المادة التعلمية موضحا وموجها لها في ضوء وسياق خدمة هذه القيم والتوجهات المجتمعية.

– واجب المراعاة والأخذ بعين الاعتبار مكمن الثقل في ثقافة المجتمع الذي ترتجيه وتأمله السلطات العليا للبلاد من المتعلمين، وتتغير مراكز الثقل بتغير ظروف المجتمع والعوامل المحيطة به. فاختيار محتوى الكتاب والقيم التي تعطى لها، والزمن والمكان المخصص لكل محتوى تتحدد في سياق المتطلبات الثقافية. من ذلك أن كتب علم الاجتماع والاقتصاد والمحاسبة وما يقرب إليها من المواد لابد أن تهتم بقضايا التصنيع في البلدان العربية وكيفية تحقيق القفزة الكبرى في الصناعة والتكنولوجيا وشتى الميادين الأخرى، وأيضا دور الشعوب في النهوض بأوطانهم بعد أن تحررت من الاستعمار الكلاسيكي.

والأخذ بهذا الاعتبار لا ينحصر في كتب الاجتماعيات والاقتصاد والمحاسبة بل ينسحب على بقية الكتب في المواد الأخرى ويصدق عليها، لأن المادة التعلمية ذات طبيعة ومهمة اجتماعية، فكتب المطالعة والأدب واللغة العربية أو في اللغات الأخرى لا يجب أن تنحصر موضوعاتها من أجل القراءة فحسب ، وإنما لابد أن تنتقى لها محتويات ذات أبعاد وطنية اجتماعية إنسانية تساعد المتعلم على الوعي بالظروف والسياقات والتحولات الجديدة التي يعيشها ويعاصرها مجتمعه ومحيطه والعالم كله كالتصنيع والتعاون والديمقراطية والحرية. ونجد هذا أيضا في الرياضيات ماثلا في خدمة الأغراض الاجتماعية للمجتمع من خلال الإتيان بتلك المسائل والأمثلة وما يعيشه المجتمع من معاملات اقتصادية من البيع والشراء ونسبة الفائدة وغيرها من الظواهر الاجتماعية الموجودة .

وقد يعتمد المؤلف في تأليف كتاب في التاريخ القديم أو الحديث لبلاده على مصادر ومراجع أجنبية ذات نظرة خاصة مؤدلجة مغرضة، ولذا فواجب الحذر والحيطة في مثل هكذا مواضيع حتى لا تحدث خلطا ولا منطقية فهم أو تأويلات وتحليلات مجانبة للحقيقة لدى المتعلمين. فواجب التحفظ والحذر خلال اعتماد المؤلف على المراجع الأجنبية حتى تبنى المحتويات توافقا والأهداف والغايات الوطنية للمجتمع. فالكتاب المدرسي من الوسائل التعليمية التعلمية التربوية الأساس في بلورة التوجهات والوعي والتصورات لدى المتعلمين، ومنه تبنى وتحين التوجهات الصائبة السديدة والصحيحة لدى المتعلمين .

والاهتمام بتحيين المحتوى التعلمي التعليمي اعتبار ضروري الأخذ به، فسرعة التحولات في المجتمعات والمدنيات المعاصرة، وما يلي ذلك من نمو وتطورات وتغيرات في حقول المعرف يستوجب الإلمام وإدراك ما وصلت إليه مادته ومحتواه التي يريد أن يؤلف فيها، فالتأليف في الكتب التي تهتم بدراسة وتحليل المجتمع أو التربية المدنية والوطنية أو في العلوم الفيزيائية والتكنولوجية يستوجب أكثر الارتكاز على مؤلفات ومراجع ظهرت منذ سنوات أخيرة ، إذ يستوجب الأمر التعرف على مصادر العلوم من الدوريات والمجلات والجرائد والإحصائيات المستجدة وما يستجد على مواقع الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي من معارف جديدة. فالكتاب المدرسي الجيد والوجيه هو الكتاب الذي يصل به مؤلفه إلى أرقى درجات المعاصرة والجدة في محتوياته وأسلوب عرضه وطريقة صناعته.

كما يجب أن يوفر المؤلف في الكتاب المدرسي المعلومات الضرورية واللازمة لإظهار الحدود المشتركة التي تعد شرطا أساسيا لتحقيق النسيج الاجتماعي والوحدة واللحمة الوطنية للبلد وللأمة العربية والإسلامية، من ذلك لا يمكن تصور متعلم قطع مراحل في التعلم والاكتساب المعرفي لا يعرف قصة حضارة أجداده العرب، وجهود الأولين من العلماء المسلمين الأفذاذ في ابتكار الحروف والكلمات والمعارف وكيف استفادت الحضارة الغربية من الحضارة العربية. ولا يمكن تصور متعلم

عربي لا يعرف الدور الكبير للنفط والغاز وأهميتهما في التطور الصناعي والصراع الدائر في العالم حاليا حولهما، أو لا يعرف جوهر الصراع الذي يدور في فلسطين اليوم وطبيعة السياقات والظروف والجذور التاريخية والملابسات المحيطة بالقضية..

إن شحن المتعلمين بهذه الضروريات من العلوم والمعارف تقع مسؤوليتها على عاتق الكتب المدرسية، فمن كتب القراءة يتعلم التلاميذ اللغة ومن الرياضيات يتعلمون الأساسيات الضرورية للتعاملات الاقتصادية والمحاسبية، ومن كتب الاجتماعيات يعرف المتعلمون الوقائع والتحليلات اللازمة لكل واحد.إلا أن المهارة والتمكن من هذه الضروريات وغيرها من الكتب تتوقف على سبيل وطرائق صوغها وحبكها ونسجها من جانب المؤلفين من زاوية وأسلوب تعليمها وعرضها وممارسات المتعلمين لها في في المواقف التعلمية التعليمية الحية من جهة أخرى.

وكثيرا ما نجد في الكتب المدرسية عددا هاما من المفاهيم والتعريفات والكليات، مبعثرة بين محتويات ومواضيع الكتاب دون تحليل أو تفسير أو ربط وإيضاح في روابط ذات قيمة لدى المتعلم. وحينها يتدخل المؤلف ويعتمد على براعته ومهارته في التحكم في اللغة وجمال الأسلوب وحسن الصياغة.

والشرط والركن الرئيس لتحقيق اجتماعية المحتوى أن يضع المؤلف نفسه مكان المتعلم ، مستوفيا مستوى نضجه ووعيه، وواجباته بصفته في بيته، ومغزى التعليم تزويد المتعلم بالمهارات والمعطيات الاجتماعية المحققة للتكيف والاندماج والفاعلية المجتمعية والمعرفية. فلابد أن تكون كتب العلوم والكهرباء والفيزياء والكيمياء والرياضيات تحوي وتتضمن وضعيات حياتية واقعية وظيفية يستفيد منها المتعلم في حياته اليومية .

4-2- الأساس التربوي الفلسفي:

يهتم الأساس الفلسفي برؤية الكتاب لطبيعة المتعلم الذين يوجه إليه الكتاب،من خلال المجتمع الذي يعيش فيه، وتأويله ونظرته لمعنى المعرفة من خلال روابطها وعلاقاتها بالواقع الذي يعيش فيه. " و يظهر تأثير الكتاب لدى التلميذ في تعلم القيم الممثلة في نصوص القراءة، كالجد، والنشاط، وحب الوطن، والأسرة، والدين، والنظافة، والتسامح..الخ وغيرها من القيم المادية والروحية والجمالية"[5] ولهذا النظر الفلسفي الأثر نفسه والدور الذي تأسس للأساس الثقافي، حيث أنه وثيق العلاقة عند اختيار المؤلف لمحتوى الكتاب وطريقة عرضه له، ورؤيته إلى دوره وفاعليته. لأن الكتاب المدرسي كوسيلة تعليمية تعلمية يعد إجراء وعمل يعبر ويدل عن فلسفة تربوية مقصودة وموجهة. فإن مؤلف الكتاب المدرسي، في انتقائه لعناصر المحتوى الذي يؤلف فيه، وطريقة عرضه لتلك العناصر، يصدر عن وجهة نظر فلسفية لديه، فأهمية الكتاب المدرسي في العملية التربوية والتعليمية التعلمية، وإن اختلفت محتوياته، ونوع مادته وطريقة صياغتها، وسبيل استعمالها تخضع لنظر فلسفي ونظر فكري محدد لتلك المادة والمحتوى التعلمي التعليمي. بل أكثر من هذا فغالب النظريات الفلسفية قديما وحديثا أخرجت أفكارها في كتب ومناهج دراسية حتى تضحي حقيقة فعلية في المجال التربوي التعليمي.

والحقيقة ، أنه لابد عند تأليف الكتاب المدرسي من توافر شروط ويجب الإحاطة بها مراعاتها وهي:

1-واجب إدراك المؤلف للنظرة الفلسفية التي يريدها الكتاب المدرسي .

2-أن تتوافق النظرة الفلسفية مع فلسفة المجتمع وسياقاته وظروفه.

3-أن تدل هذه الفلسفة واقعا في انتقاء محتوى الكتاب وطريقة صياغته.

و يرى البعض من علماء التربية أن الطريق الصحيح للتربية المرجوة والمأمولة ، هو الاهتمام بتأكيد مبادئ الحق والخير والجمال والحرية، بغض النظر عن سياقات الزمان والمكان، وتقوم نظرتهم

و فكرتهم هذه على الاعتقاد بأن أهم ما يميز الإنسان عن باقي الكائنات هو الفكر والتدبر والتعقل، وأن عقول الناس تشترك في صفة واحدة على مر الزمن، ومن ثمة وجب أن تكون التربية واحدة في جميع المجتمعات والثقافات في كل زمان ومكان. ودور الكتب المدرسية تأكيد المبادئ والقيم .

ومنه فليست التربية والتعليم مجرد انتظام المتعلمين في صفوف مدرسية، أو الإنصات إلى خلاصة التعلمات والمعارف من أفواه المعلمين، أو أخذ المعرفة من بطون الكتب. وإنما هي عملية عيش وموقف حياتي. تتجسد صريحة وواضحة من خلال الكتاب ، كأداة ووسيلة يتخذها المتعلم لتزيده علما بالعيش وفهمه له، ولتزيده مهارة وتكيفا على مواجهة مواقفه ومشكلاته الحياتية اليومية.

ويعتبر الكتاب أداة ووسيلة تطوير ورقي للرأي العام بين المتعلمين في مجتمع متغير، تتقاذفه مشكلات مذهبية واتجاهات فكرية إيديولوجية متصارعة، يظهر فيه الدور الخطير للعلم وتطبيقاته لحل تلك المشكلات .

ومما سبق يمكن أن نصل إلى أنه لابد أن يكون المحتوي التعلمي التعليمي للكتاب يعبر عن أهداف المجتمع وفلسفته وصورته الجديدة التي يطمح أفراده لرسمها .من هنا فلا بد ان تراعى في تأليف الكتاب المدرسي وتقويمه وتقييمه الشروط الآتية:

-أن يكون وسيلة من وسائل بناء شخصية المتعلم في مجال الخبرة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية.

-أن يكون حافزا ومحفزا للتفكير، وأن يكون محتواه محتوى داعما و صانعا للمتعلم المفكر.

-أن يشترك المحتوى والطريقة، ويستعمل مادة وطريقة، وبهذا يكون له دور على خبرات المناهج وفاعليتها، ويكون أداة في ترجمة أهدافه بشكل سلوكيات لدى المتعلمين.

*أن يكون أداة التحضير للمتعلم للحياة اليومية، فيكون للمتعلم رصيد من خلال محتواه لتوظيفه في مجابهة عراقيل ومشكلات الحياة اليومية الظرفية والطارئة.

-أن يكون جزءا من سياقات ومواقف تعلمية، فيكون مرجعا لتفسير وضعيات واقعية .

-أن يكون مساعدا على التطوير والتغيير والبناء في توجه معين .

وما من شك أن هذه الشروط ، هي المناسبة والمتوافقة مع ما يتناسب مع المتعلم في مجتمعنا في عصر التحولات العالمية الكبرى في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، حتى يكون على أساس فكري ونفسي سليم، وهذه هي وظيفة التربية بوسائلها ومن أخطرها الكتاب المدرسي.

5- الخاتمة:

نخلص مما سبق من خلال هذا البحث أن العملية التربوية التعليمية والتأليف للكتب المدرسية ليست بالعملية السهلة كما يتصور البعض وذلك للاعتبارات الآتية:

-تداخل وتشابك المعايير الاجتماعية والثقافية والفلسفية التربوية والنفسية السيكولوجية والعلمية، وأن محاولة الفصل بينها أمر في غاية الصعوبة. وأي إهمال لها يؤدي إلى فشل في تأدية دور ومهام الكتاب المدرسي.

ولذا من الضروري والواجب أن ينظر لها نظرة كلية شمولية، وأن تكون هذه هي المعايير والاعتبارات الواجب مراعاتها عندما تؤلف الكتب، وأن توضع نصب العين ويسترشد بها عند إعداد الكتاب المدرسي.

-و بدون السير على هذه الأسس والمعايير والاسترشاد بها ، والتقليل من أهميتها ، يفقد الكتاب المدرسي قيمته ووظيفته التي ألف من أجلها، ويصبح غير صالح لمهمته ووظيفته في بداية الألفية الثالثة، ألفية التحولات الاجتماعية و الاقتصادية العالمية والتطورات العلمية التكنولوجية الرهيبة .

-أن يتوفر في من يقوم بعملية التأليف ازدواجية وموسوعية التفكير و التكوين واستشراف النظر والرؤية الشاملة لكل أبعاد العلم والمعرفة حتى لا يقع انفصال معرفي وحلقات مفقودة في الدروس مما يجعل العملية التعلمية التعليمية لا تحقق أهدافها المنشودة والمرجوة.،

فليس الكتاب المدرسي مجرد مستودع للمعرفة، ولكنه أداة من أدوات التعلم، والتعلم عملية خلاقة، تنبثق من موقف يتفاعل فيه التلميذ مع بيئته، ومن هذا التفاعل تنبثق مادة التعلم وتكتسب معناها كوسيلة من وسائل مواجهة الموقف، ولذا يجب أن يكون الكتاب المدرسي مولدا لرغبة داعية مشوقة لقراءته ومتابعته، كل ذلك كأداة لتنوير المتعلم وإكسابه زيادة في القدرة على توجيه النفس وتنمية قدرتها على مواجهة مواقف الحياة المختلفة.

6- الإحالات:

[1] دروس التربية وعلم النفس، وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ، المديرية الفرعية للتكوين،1971-1972 ص127

[2]: أحمد أنور عمر، الكتاب المدرسي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1980م،ص3 من المقدمة.

[3]: عبد الحميد السيد عبد الله، استخدام الكتاب المدرسي ،دار الهناء للطباعة ، مصر،1962م ص 288.

[4]: دروس التربية وعلم النفس، مديرية التكوين والتربية خارج المدرسة، المديرية الفرعية للتكوين،1971-1972،ص،129.

[5] : الطاهر بوغازي، علاقة الكتاب المدرسي بالقيم التربوية،مقال ضمن أعمال الملتقى الوطني الكتاب المدرسي في المنظومة التربوية الجزائرية واقع وآفاق، المنظم ليومي 24و25 نوفمبر 2007.

7- المصادر والمراجع:

1. أبو الفتوح رضوان، عبد الحميد عبد الله، محمد الهادي عفيفي، محمد أحمد الغنام،1962. الكتاب المدرسي فلسفته تاريخه أسسه تقويمه استخدامه، مكتبة الأنجلو المصرية،.

2. أحمد أنور عمر، الكتاب المدرسي، 1980م. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

3. عبد الواجد شريفي،ج وهران، مقال في مجلة مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية ضمن ملتقى وطني يومي 24-25 نوفمبر 2007.

4. الطاهر بوغازي ، علاقة الكتاب المدرسي بالقيم التربوية،مقال ضمن أعمال الملتقى الوطني الكتاب المدرسي في المنظومة التربوية الجزائرية واقع وآفاق، المنظم ليومي 24 و25 نوفمبر 2007.

5. دروس التربية وعلم النفس، 1971-1972. مديرية التكوين والتربية خارج المدرسة، المديرية الفرعية للتكوين.

6. د عبد الحميد السيد عبد الله، 1962. استخدام الكتاب المدرسي، دار الهناء للطباعة، مصر.